مجلة
المجمع العلمي العربي

ايلول وتشرين الأول سنة ١٩٤٦ شوال وذوالقعدة سنة ١٣٦٥

المؤلفون في مصر

كتبت الاجادة في التأليف لأكثر حملة العلم عند العرب من أهل القرن الثاني الى الخامس من الهجرة وكتبت الاجادة لبعض هذه الطبقة منذ القرن السادس الى القرن التاسع . وفي هذه العصور الأخيرة كان عهد المتوسطين بقرائحهم وعلمهم والنوابغ معدودين في كل جيل على أصابع اليد . وبعد العصر التاسع بدأ عصر التقهقر فضعفت اللغة ، وضعفت الآداب وأمست الأقطار العربية في سبات عميق نُزع من النفوس مضاؤها ومن العقول تفكيرها ، وصار الدور دور العجمة والأعاجم ، ونشأ من ذلك قلة الدارسين والباحثين والشاعرين والناثرين ودام هذا الانحطاط الى اواخر المئة الثالثة عشرة .

تعلقت قدرة المولى تعالى ان يحمل العرب مشعل النور الى العالم بضعة قرون وتعلقت قدرته بعد ذلك ان تقع هذه الشعلة من أيديهم ويتلقفها أهل الغرب . فكان النور قبل العصور الوسطى يحمل من آسيا وأفريقية الى اوربا ، فأصبح بعد ذلك يحمل من أوربا الى آسيا وافريقية .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ولما كانت النهضة العربية الأخيرة في مصر كان أول ما بدئ به اصلاح اللغة واصلحت القوالب التي يؤدى الكلام بها ، وأخذ النبهاء منا عن الغربيين طرقهم في البحث والدرس ، فضموا الى قديمهم حديثاً طريفاً ، وأخذوا عن جيرانهم ما اشتدت حاجتهم اليه من ثقافة وتدريب .

وما جاءت المئة الرابعة عشرة حتى أخذ التأليف بالعربية يتجه وجهة لم يكن له بها عهد منذ أجيال . وما انسلخ الربع الأول من هذا القرن حتى تبدلت هيئة الكتابة وهيئة الشعر وتبدلت بتبدلها هيئة التأليف . أخذ الناس يحرصون على المعاني والمحسوسات أكثر من حرصهم في القديم على الألفاظ والخيالات . ودالت دولة الاسجاع والجناسات التي اخترعتها عصور الانحطاط ، ويكاد يقول من قرأ صفحة كتبت في القرن الثاني او الثالث وعارضها بأخرى كتبت في العصر الحادي عشر والثاني عشر أن اللغة تبدلت معالمها وروحها كل التبدل وخلص الجمهور من معان باردة وافكار مكررة وآداب لا تلامس الحياة في قليل ولا كثير .

كان الفضل الأول لاخراج اللغة العربية من الابتذال والركاكة وادخالها في طور جديد تجري فيه مجرى عصور الارتقاء لذاك المعهد العظيم الذي دعوه (دار العلوم) في القاهرة فتخرج بأساتذته أناس تشبعوا بالبيان العربي الصحيح وقلبوا بالتدريج الطريقة المألوفة عند المعاصرين ، وبذلك تغيرت لغة الخطب والصحف والكتب والمحاكم والمعابد . ومن عارض بين كتابة أواخر المئة الثالثة عشرة وكتابة النصف الثاني من القرن الرابع عشر يتمثل لناظره الفرق العظيم بين لغة تموت ولغة تحيا ، وبين بيان مضغوط بالمحسنات اللفظية وبيان حي سالم من كل تزيد وفضول .

فصحت دعوانا والأمر على ما ذكر أن التآليف التي صدرت في الربع الثاني من القرن الرابع عشر أرقى من التآليف التي وضعت منذ القرن التاسع الى أواخر الثالث عشر في مصر وبلاد العرب ولا عبرة بالشواذ . والسر الأعظم في

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

هذه الاجادة يعود لاصلاح اداة التأليف كما قلنا ، ولسلامة اداة التفكير من التلوي والتعقيد ، وكان من أثر ذلك ان طلّق المؤلفون الموضوعات التافهة التي لا كتها الألسن كثيراً ، وتشبثوا بايجاز المفيد منها ، وأتوا الأمة بأشياء جديدة ماعرفوها ، واصبح المؤلف لايلخص الا بعد بحث ، ولا يدون إلا بتمحيص ، ويبرز على كل حال في ابراز الأفكار القديمة والحديثة في قالب مقبول من الرشاقة والجزالة . ولا نغالي اذا قلنا ان التأليف في هذه الحقبة انقلب رأساً على عقب بلغته وأفكاره وان التآليف التي كتبت بركاكة أواخر القرن الماضي واوائله تكاد لا تجد من يعطف عليها واكثرها حَريةٌ بأن تكون صوراً ولفائف كالجرائد القديمة .

عارضوا كل ما كتبه الشيخ محمد عبده في رسالة التوحيد وتلميذه الشيخ احمد ابراهيم في كتبه الفقهية وما كتبه في هذين الموضوعين من تقدموهما في عصور الانحطاط تجدوا الفرق عظيماً بين من استجمعوا ادوات التأليف كلها وبين من لم يستجمعوها . والناقد البصير يدرك لأول نظرة ان ما كتبه محمد بخيت من شيوخ الأزهر على كثرته محكوم عليه بالعفاء لأنه خلا من روح العصر ومن بلاغة العصر ، وعرا من جمال الأسلوب وجودة التأليف إلا قليلاً . أما ما كتبه محمد عبده على قلته وهو من شيوخ الأزهر أيضاً فانه خالد لأنه كتب ورائده البلاغة وسلامة الفكر ، وكذلك قل في كتاب الاسلام وأصول الحكم لعلي عبد الرزاق فان هذه الرسالة تبقى لأنها كتبت في موضوع مهم بلغة العصر الحديث وعلى أسلوب تفكير أهله . وليست منفعة التآليف بكثرة صفحاتها وتعدد مجلداتها ، فقطعة الذهب تساوي مئة ضعف من وزنها حديداً . ورب رسالة محكمة خلد بها اسم صاحبها وكم من مجلدات سقيمة ذهبت مع الزمن منسية . والمكثار لا يأمن العثار على كل حال .

ان ما كتبه قاسم امين في (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) وعبد الرحمن الكواكبي في (طبائع الاستبداد) و (أم القرى) وحافظ عفيفي في (على هامش

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

السياسة) و (الانكليز في بلادهم) وابراهيم المويلحي (فيما هنالك) ومحمد المويلحي (في حديث عيسى بن هشام) ومحمد علي علوبة في (السياسة المصرية) قد يعمّر ويفيد أكثر من مجلدات ضخمة كتبها محمد بخيت وطنطاوي جوهري ويوسف النبهاني واضرابهم فمن لم يهضم موضوعه لا يرتجى من الناس ان يهضموه ، ومن لم يتعب في اعداد عدته قلما يقبل قومه على اقتنائها ·

اما بعد فان اللغة العربية لغة ايجاز ، ولا سلطان على عقول أبنائها أعظم من العبارات الموجزة وهذا العصر الذي نعيش فيه هو أيضاً عصر ايجاز واختزال يملّ أهله التطويل بلا طائل ، ويكرهون التزيد في غير محله · ولو كتب كاتب من أهل العصر الماضي ما كتبه طه حسين في تاريخ (الأدب الجاهلي) و (على هامش السيرة) وفي (الايام) لكتب ألوفاً من الصفحات وما أغنى غناء طه ولا ابدع ابداعه · ولو ألف مؤلف قبل مئة سنة ما كتبه احمد امين في (فجر الاسلام) و (ضحى الاسلام) و (ظهر الاسلام) ما كتبت له هذه الاجادة · ولو تم المنهاج الذي وضعه مع زميليه طه حسين وعبد الحميد العبادي على ان يكتب طه الحياة الأدبية في الاسلام كما كتب احمد امين الحياة العقلية ويكتب العبادي الحياة السياسية لكان فجر الاسلام وضحى الاسلام وظهر الاسلام وثم عصر الاسلام اعظم معلمة عربية في هذا الموضوع لأن هؤلاء الثلاثة المؤلفين رزقوا حظاً عظيماً من البلاغة وعرفوا اساليب الغرب والشرق في التأليف وطرق الافادة ·

وكتبت الاجادة في التأليف للعقاد والمازني وعنان على كثرة ما انتجوا ونشروا · ويعود قسم وافر من الفضل في اجادتهم الى تشبعهم باللغات الغربية والأدب العربي · واكبر الظن ان لكثرة التمرين دخلاً كبيراً في هذا الاحسان · وقلّ ان كتبت الاجادة لمثل العقاد على كثرة ما خاض عبابه من الموضوعات السياسية والاجتماعية والفلسفية والأدبية والقصصية ، وقرينه في كثرة الانتاج محمد لطفي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

جمعة الا ان الرشاقة قد تخطئه لأنه نشأ مترجماً عن الانكليزية فأضعف النقل من ملكته . أما العقاد والمازني فقد نشآ نشأة أدبية وكان لهم في الشعر أيضاً فضلاً عن النثر يد طولى . ويكثر المؤلفون المحسنون في بيانهم بين طلاب دار العلوم والمعلمين العليا ومدرسة القضاء الشرعي (الملغاة) أكثر من أمثالهم في الأزهر والجامعة المصرية والجامعة الأميركية .

كان لكثير من المؤلفين يد باسطة في التعريب اكثر مما كان لهم في التأليف ، وفي مقدمتهم أحمد فتحي زغلول واحمد لطفي السيد ، يعقوب صروف وابراهيم مصور ونجيب شاهين ومحمد السباعي وفريد ابو حديد واحمد حسن الزيات ، وهذا اجاد في تعريب (رافائيل) للامرتين (وآلام فرتر) لجوته ، والزيات يبالغ في تنميق ما يكتب فيجمع بين ادب العصر واسلوب البديع والخوارزمي والصابي وهو سواء ومصطفى صادق الرافعي ومصطفى لطفي المنفلوطي وعبد العزيز البشري يتشابهون في طريقتهم ويمتاز الأخير بأسلوبه الخاص به أسلوب الهزل في الجد . وكتابه (في المرآة) الذي ترجم فيه لمعاصريه من المصريين على نهجه الخاص به في السخرية لو خلا من مصانعة بعض من كانوا يوم كتبه من الصدور لكان من أجمل الكتب في بابه . وأحسن ايضاً في كتابه (المختار) وهي مقالاته التي نشرها في مناسبات مختلفة ومن أهم ما ساعد على اجادته اكثر الأوقات احاطته بحياة كبار المصريين وصغارهم فهو قاهري يعرف ما في القاهرة من سر وجهر ويحسن عرض أدب المجالس ويورد النكتة دائماً لها صياغة أدبية يُدخل بها المرَح على القلوب . والمجودون في هذا الباب قلائل وما ذاك لأن الجد غالب على المؤلفين بل لأن الهزل صعب المراس على التدوين . وكان عبد الله نديم ورفائيل بن صفوع (ابو نضارة) وابراهيم المويلحي من أول من خطا في هذا العصر خطة الهزل في الجد فتذوق معاصروهم هذا النمط من الكلام ، وكان البشري أحد أساطين هذا الهزل المحبوب لعهدنا وكان مع صديقيه محمد البابلي وحافظ ابراهيم من أعظم رجال هذا الشأن .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومن تلاميذ دار العلوم الذين برزوا في التأليف حفني ناصف واحمد الاسكندري ومحمد الخضري وعبد العزيز جاويش وعبد الوهاب النجار وضرباؤهم واكثرهم من المقلين لأن تعاطي اكثرهم التدريس طول حياته العملية قطعه عن التأليف بعض الشيء ولكنهم أجادوا فيما نشروه للناس فيمكن ان يقال ان علمهم أكثر من عملهم وانهم عاشوا للتوظف لا لأنفسهم . وعلى هذا النحو يمكن القول فيمن لو تفرغوا للتأليف لبرزوا كل التبريز امثال مصطفى المراغي احمد حسنين علي ماهر بهي الدين بركات علي زكي العرابي محمد حلمي عيسى محمد علي علوبة محمود ابو العيون مصطفى عبد الرزاق منصور فهمي مظهر سعيد عبد الرزاق السنهوري سنى اللقاني محمد احمد الغمراوي احمد فهمي العدوي عبد الله عفيفي انطون زكرى ابراهيم مصطفى توفيق اسكاريوس عمر لطفي رزق الله منقريوس .

فان هؤلاء وامثالهم من الأحياء ابانوا بالقليل الذي نشروه عن كفاية تامة اما من الأموات فاحمد شفيق وتوفيق البكري عبد الحميد البكري عبد القادر حمزة علي يوسف علي بهجت اسماعيل رأفت ، محمد توفيق صدقي ، ابراهيم رفعت ، علي ابو الفتوح ، اسماعيل حسنين ولي الدين يكن ، حسن منصور ، حسن توفيق ، امين سرور ، محمد فريد ، مصطفى الدمياطي ، محمود مصطفى .

ومن المؤلفين المجودين احمد كمال الأثري ، محمود سامي البارودي ، حافظ ابراهيم ، احمد شوقي ، اسمعيل صبري وهؤلاء الأربعة انبغ شعراء مصر في هذا العصر واحمد تيمور (باشا) ، واحمد زكي (باشا) واحمد زكي (الدكتور) علي مصطفى ، مشرفة محمد ، مسعود حافظ عوض ، عبد الرحمن الرافعي ، عبد الوهاب عزام ، محمد عوض محمد ، محمد حسين هيكل ، محمد ثابت ، اسماعيل مظهر ، مصطفى كامل ، محمد دياب ، سلطان محمد ، عبد الرحمن الجزيري ، احمد عبد السلام الكردانى حسن السندوبي ، محمود عرنوس ، زكي نجيب محمود ، محمود الخفيف ، محمد خالد حسنين عبد العزيز الخولي ، سعيد العريان ، محمد عبد الغني ، حسن محمد بدران ، امين

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مرعي قنديل ، محمد محي الدين عبد الحميد فكري اباظة ، احمد الزين احمد فريد الرفاعي محمد فهيم عبد الرحمن البرقوقي .

وممن ألفوا في العلم والطب والاجتماع والتاريخ والآثار والفقه احمد عيسى احمد الشايب زكي مبارك احمد ضيف شوقي ضيف احمد الحسيني عبد الرزاق السنهوري امين واصف مصطفى زيادة امير بقطر توفيق حبيب اسعد داغر زكي حسن فرنسيس ميخائيل يعقوب فام عزيز خانكي حسن ابراهيم حسن سلامة موسى بوسف كرم ابراهيم مدكور عبد الهادي ابو ريدة مصطفى عناني احمد محمد شاكر ومحمود محمد شاكر احمد زكي ابو شادي محمد امين حسونة وفريد وجدي وهذا أجاد في الرد على الماديين اجادة حسنة واجادته قليلة في الكتب الكبيرة الحجم التي كتبها وقد بدت عليها العجلة ولم يظهر الدرس والبحث فيها كثيراً فالاكثار اضرّ بعمل هذا المؤلف النشيط العالم . وارجو ألا يكون كذلك حال المؤلف امين سامي فاني لم يسعدني الحظ بقراءة ما كتب ، ورجال الرأي مجمعون على انه من أعظم المؤلفين .

وطرّس الأدب العربي الحديث على اثر الأدب الغربي فكان من مستلزمات ذلك ان يستخدم القصة للتعليم والتسلية والعبث على أساليب الفرنج في هذا الضرب من الأدب ، فمن المجودين في الروايات التمثيلية شوقي والعقاد ومن المجودين في القصة المنثورة توفيق الحكيم ومحمود تيمور فالأول تلمح فيما كتب صورة من صور الغرب اكثر مما تحمل كتابته روح الشرق ، وفي قصص الثاني تتمثل لك الروح المصرية الشرقية وهناك غيرهم من كتاب القصص واكثرهم نقلة ومعربون لم أعرفهم اما لأني ضعيف الولوع بالقصة او لأن ضعف الكتابة فيما وضعوا وترجموا حال دون اعطاء الحكم فيهم .

ويكثر فيهم المؤلفون الذين وضعوا كتباً مدرسية للمدارس الابتدائية والثانوية وبعضهم اشتركوا مع زملائهم في وضعها وقد تجد كتاباً ليست له مكانة

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

كبرى تعاور تأليفه بضعة مؤلفين واظن الداعي الى ذلك الكسب لأن هذا النوع من الكسب يربح أرباحاً طائلة خصوصاً اذا كان له في وزارة المعارف من يساعد على انتشاره ٠

وهناك عشرات من المؤلفين الذين كانوا من أصل سوري فنزلوا مصر وظهر فيها فضلهم ومنهم من تمصر وتحلى بالجنسية المصرية ومنهم من تعاطوا الطب والمحاماة والصحافة والوظائف فما انتجوا كثيراً لأن طبيعة أعمالهم اليومية حالت دون ما قد يشتهون تدوينه لنفع الناس ٠ فمن هذه الفئات يعقوب صروف فارس نمر شبلي شميل خليل مطران عزيز خانكي نجيب حداد امين حداد محمد رشيد رضا رفيق العظم داود بركات خليل ثابت انطون الجميل نعوم شقير سعيد شقير جرجي زيدان محب الدين الخطيب فؤاد صروف وغيرهم ٠

بقي ان اقول ان هناك عشرات من المؤلفين لم تواتني الأيام ان اتشرف بمعرفتهم او استفيد من علمهم في كتبهم وذلك لأن كتبهم لم تشتهر الشهرة التي تستحقها او انهم خاضوا من العلم فروعاً لم اعرفها ٠ وأنا لم أتكلم إلا على المؤلفين الذين عرفتهم وطالعت كتبهم مستحسناً او ناقداً ٠ ولم اقصد بهذه العجالة الحصر فالحصر يحتاج الى نفس أطول ٠ وما زلت شهد الله منذ عرفت مصر اتعرف الى كثير من المغمورين وأعتقد ان بعضهم لو نظموا اوقاتهم بنظام بعيد عن الفوضى الاضطرارية احياناً لاشتهروا في الأقطار بما يوازي مكانتهم الأدبية والعلمية ٠ واني أمثل لذلك بأربعة فقط عملت معهم في مجمع اللغة العربية بمصر وهم حسين والي واحمد العوامري وعلي الجارم ومحمد احمد جاد المولى فقد اعجبت بما انطوا عليه من علم غزير في آداب العربية ومعرفة دساتيرها وأسرارها بيد ان ما نشروه للناس اقل مما كان يرجى منهم ٠ وما علل ذلك الا بأنهم صرفوا جزءاً عظيماً من أعمارهم في التدريس أو الاستخدام فضاقت أوقاتهم عن الاتساع لغيره من الأعمال الكبرى ٠ نعم تخرج بهم كثيرون ولكن لم تتجاوز أنوار معارفهم البيئة التي اضطربوا فيها ٠ ومن المتعذر ان يحوز الفرد كل المزايا فالمحاضر غير الخطيب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

والكاتب غير الشاعر والمؤلف غير المدرس والصحافي غير السياسي ولا عبرة بالشواذ .

واكبر الظن ان علة ذلك كله تفضيل الناشئين العيش الهنيء المضمون في أبواب الحكومات وايثارهم له على الصناعات الحرة التي يسرح صاحبها ويمرح على هواه ويتحمل وحده تبعة اعماله . ولو ضعفت شهوة الاستخدام في بعض النفوس المصرية ربما زاد عدد الباحثين المجودين وتضاعفت جمهرة من ينتفع الناس منهم نفعاً عاماً وربما كان تغير بذلك وجه المدنية العربية . والأمم التي تعلق كل مجد لها على حكوماتها فقط يكون حظها من الحضارة محدوداً بخلاف الأمم التي يعول بنوها على الاستقلال في الأعمال وتتقزز نفوسهم من الاتكال . وليس من الغرابة في شيء ان يكون معظم مؤلفي مصر في هذا العصر من الذين اتصلوا بالحكومة مباشرة وقل ان رأينا ذا نعمة وسعة من العيش حاول نفع الناس بقلمه وبيانه اللهم الا ثلاثة عظماء من أمراء البيت العلوي الكريم وهم الأمراء عمر طوسون ويوسف كمال ومحمد علي توفيق فكتب الأول في تاريخ مصر الحديثة كتباً مفيدة جداً ووضع الثاني سفراً عظيماً سماه المجموعة الكمالية ضمنه جميع ما كتب في جغرافية افريقية باللغات القديمة والحديثة انفق عليه نحو خمسين الف جنيه مصري وصدر منه الى الآن ثلاثة عشر مجلداً طول الواحد نحو متر . وكتب الأمير الثالث رحلاته الى انحاء العالم الشرقي والغربي فجود بها وأفاد .

هذا وقد يتساءل بعضهم فيقول اليس في كل هذا الرعيل من الرجال سيدات جارين الرجال في التأليف في مصر على عهدها الأخير فالجواب نعم ان منهن اليوم من هن موضع العجب فمن عهد عائشة عصمة التيمورية الى زينب فواز وملك ناصف (باحثة البادية) الى ماري زيادة (مي) الى نور الحكيم الى نظلة الحكيم الى زينب الحكيم الى انصاف فهمي الى احسان احمد القوصي الى سهير القلماوي الى امينة سعيد الى غيرهن من المؤلفات نرى طبقة ضاهت الرجال باخراجها ثمرات عقولها للناس وسيخرج من النساء عدد أكبر في الجيل المقبل .

محمد كرد علي

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net